الإعجاز والتحدي دراسة مصطلحية

*المثنى عبد الفتاح محمود محمود**

ملخص

يدرس هذا البحث مصطلحي الإعجاز والتحدي دراسة مصطلحية متخصصة، تكشف عن الفروق بين هذين المصطلحين، وما ينشأ عنها من فروق تؤثر في بيان أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، وذلك من خلال مناقشة للمعنى اللغوي للإعجاز والتحدي، ومناقشة ناقدة لأقوال أهل العلم في هذا الشأن، وقد خلص هذا البحث إلى أنه توجد فروق بين الإعجاز والتحدي زادت عن عشرة فروق، وبملاحظة هذه الفروق يتبين لنا أن أوجه الإعجاز تتعدد، وبتعدد أوجه الإعجاز تتعدد كذلك أوجه التحدي، باعتبار مضمون وجه الإعجاز الواحد، وأن التحدي ليس مقتصراً على العرب كما هو شائع في كثير من الأوساط العلمية.

الكلمات الدالة: الإعجاز، التحدي، علوم القرآن، دراسة مصطلحية.

المقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين وبعد؛ فإن الدراسة المصطلحية ضرورة علمية تقتضيها طبيعة المرحلة المعاصرة، وما تمر بها من مستجدات على الساحة العلمية، وقد أخذ مصطلحا الإعجاز والتحدي مأخذاً متسعاً، تفرعت منه وجهات نظر عديدة حول تعدد أوجه الإعجاز القرآني، وارتباط ذلك التعدد بمفهوم التحدي الوارد ذكره في القرآن، وبناءً عليه اختلفت المدارس قديماً وحديثاً في تحديد مفهوم التحدي، وهل يقع التحدي للعرب فحسب؟ أو أنه يتعداهم لبقية الأمم؟ وقد حاول هذا البحث الإجابة على الكثير من الأسئلة الحائمة حوله، وكاتب هذا البحث كان يذهب مذهباً يخالف فيه ما أداه إليه اجتهاده فيه، وقد تبين له أن الحقَّ خلاف ما كان يذهب إليه، فالحق أحق أن يُتبع، وهو أقوم سبيلاً.

أهمية البحث: تنبع أهمية هذا البحث من كونه يعالج مصطلحي الإعجاز والتحدي، وأثر هذين المصطلحين في اختلاف وجهات النظر في تحديد أوجه الإعجاز، ومتى يكون الوجه إعجازاً؟ وهو كذلك يفرق بين هذين المصطلحين من جهات متعددة، وما ينشأ عن هذه الفروق من معالجات لمفهوم الإعجاز في مادته ودلالته.

المشكلة البحثية: يجيب البحث عن سؤال أصيل وهو: هل الإعجاز هو التحدي؟ أو أنه يوجد فرق بينهما، وهل لهذا الفرق وشائج وارتباطات؟ ويتفرع عليه مجموعة من الأسئلة وهي: هل نعدُّ أوجه الإعجاز سوى البياني أوجهاً للإعجاز أو أنها دلائل صدق النبوة؟ هل التحدي يتجدد أو أنه ثابت بالشكل الذي نزل في القرآن الكريم؟ وعلى السؤال السابق: هل تتوقف معرفة إعجاز القرآن فقط بمادة التحدي الواردة في القرآن، أو أن معرفة الإعجاز تستطيعها بقية الأمم ولو لم تعرف أساليب البيان العربي؟

الدراسات السابقة: في حدود اطلاعي لم أقف على بحث أو دراسة مصطلحية متخصصة فرقت بين الإعجاز والتحدي، وما ينبني عليهما من فروق دلالية، وهناك بعض الكتب التي تناولت الإعجاز والتحدي مثل: كتاب آيات التحدي في القرآن الكريم الدلالة والإيحاء للدكتور عبد العزيز بن صالح العمار، وكتاب التحدي في آيات الإعجاز للدكتور قحطان الدوري، وغيرها من الكتب المتخصصة في الإعجاز، لكنَّها لم تتناول الإعجاز والتحدي دراسة مصطلحية، وتبين الفروق بياناً دلالياً، وما ينبني عليه من نتائج.

منهج البحث: المنهج المتبع هو المنهج الاستقرائي في تتبع آيات التحدي في القرآن الكريم، والمنهج التحليلي النقدي؛ فطبيعة البحث المصطلحية تقتضي تحليل كلمات العلماء، ومن ثم نقدها للخروج بنتائج علمية واضحة.

خطة البحث: جاء هذا البحث في مقدمة ومبحثين اثنين، وهما: المبحث الأول: مفهوم الإعجاز والتحدي، جاء في ثلاثة مطالب وهي: المطلب الأول: الإعجاز: لغةً واصطلاحاً، والمطلب الثاني: التحدي: لغةً واصطلاحاً، والمطلب الثالث: آيات التحدي، والمبحث الآخر: الإعجاز والتحدي العلاقة

* كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية. تاريخ استلام البحث 2016/5/18، وتاريخ قبوله 2016/11/8.

© 2018 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

الاتصالية والمفهوم الانفصالي، جاء في مطلبين وهما: المطلب الأول: الفرق بين الإعجاز والتحدي، والمطلب الآخر: أثر العلاقة بين المصطلحين في تضييق دائرة الاختلاف، وخاتمة.

المبحث الأول
مفهوم الإعجاز والتحدي

سأتناول في هذا المبحث ثلاثة مطالب أتحدث في الأول والثاني عن مفهوم الإعجاز والتحدي لغة واصطلاحاً، وسأقف في المطلب الثالث مع آيات التحدي.

المطلب الأول: الإعجاز لغةً واصطلاحاً:

تُعد المفاهيم اللغوية القاعدة الأصيلة التي تُفهم على ضوئها التعريفات العلمية، وبذلك لا يستطيع أيُّ باحث شرعي أن يقف مع هذه التعريفات إلا بعد استضاءته بتلك المفاهيم، وقد مثلت اللغة لعلماء الإسلام جداراً صلباً في مواجهة فوضوية الفهم، والانفلات من قانون الانضباط العلمي الذي تعين عليه لغةُ العرب؛ ولذلك فإن الدرس اللغوي الجاد ضرورةٌ ملحة للباحث الشرعي عموماً، والباحث في الدراسات القرآنية خاصة؛ فهو يحتاج إلى منهجية بحثية دقيقة تقود إلى تحقيق المفردة اللغوية، وإبراز خصوصية طالب العلم في الدراسات القرآنية، بما يعكس شخصية علمية تمتاز بالإحاطة والتخصص العميق، وعليه فإن أولويات الباحث في الدراسات القرآنية كثيرة ومنها الدرس اللغوي الجاد.

أولاً: الإعجاز لغةً: سأقف مع النصوص اللغوية التي حامت حول مادة "عجز" لننظر كيف توارت بحجاب الأفهام، ولنبدأ مع أقدم المعاجم اللغوية التي أفاضت بكلام وفير حول هذه المادة، جاء في العين: "عجز: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، والعجز نقيض الحزم، وعجز يعجز عجزاً فهو عاجز ضعيف، قال الأعشى: فذاكَ ولمْ يعجزْ منَ الموتِ ربَّهُ[1].

والعجوز: المرأة الشيخة، ويجمع: عجائز، والفعل: عجزت وعجزت تعجز عجزاً، وعجَّزت تعجيزاً، والتخفيف أحسن، ويقال للمرأة: اتقي الله في شيبتك وعجزك، أي: حين تصيرين عجوزاً، وعاجز فلان: حين ذهب فلم يقدر عليه؛ وبهذا التفسير: {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} [العنكبوت:22].

والعجز: مؤخر الشيء وجمعه أعجاز، والعجوز: الخمر، والعجوز: نصل السيف، قال أبو المقدام:

وعجوزاً رأيتُ في بطن كَلْب جُعِل الكلبُ للأمير حمالاً[2].

يريد: ما فوق النصل من جانبيه حديداً أو فضة.

والعجيزة: عجيزة المرأة إذا كانت ضخمة، وامرأة عجزاء وقد عجزت عجزاً قال:

من كل عجزاءَ سَقوطِ البُرْقُعِ بلهاءَ لم تُحفظ ولم تضيَّعِ[3]

وتجمع العجيزة: عجيزات، ولا يقولون: عجائز مخافة الالتباس، والعجزاء من الرمل خاصة: رملة مرتفعة كأنها جبل ليس بركام رمل، وهي مكرمة المنبت، وجمعه: عجز؛ لأنه نعت لتلك الرملة، والعجز داء يأخذ الدابة في عجزها فتثقل، والنعت: أعْجَز وعجزاء، والعجزة وابن العجزة آخر ولد الشيخ... ويقال: ولد لعجزة أي: ولد بعدما كبر أبواه"[4].

وجاء في الجيم لأبي عمرو الشيباني: "قال – يعني الكلابي –: إنه لذو عجز في الدار، وفي داره عجز: إذا كانت ضيقة، قال الحطيئة: وذي عَجَزٍ في الدّارِ وَسَّعْتَ دارَه[5]"[6].

وقال ابن قتيبة في غريب الحديث: "وقالوا: عَجِيزة المرأة، وقالُوا: عَجُزُ الرجُل والمرأة جميعاً، وعَجُزُ كلِّ شيء آخره"[7]، وجاء في غريب الحديث للحربي: "عن ابن عباس: أن زرعة ذا نواس دعا الناس إلى اليهودية؛ فركض دوسٌ ذو ثعلبان حتى أعجزهم في الرمل... قوله: "أعجزهم في الرمل": هو أن تطلب الرجل فيفوتك، فإذا عجزت عن طلبه فقد أعجزك. قال الله تعالى: {وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ} [الجن:12] وقال تعالى: {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [الحَجّ:51]، أكثر القراء على ذلك، وقرأ ابن الزبير وابن كثير وأبو عمرو: {معجِّزين}، ومعناه فيما حدثنا ابن الأصبهاني عن علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن وهب بن كيسان: سمعت ابن الزبير قرأ: {معجِّزين} قال: مثبطين، وأخبرني أبو عمر عن الكسائي وسلمة عن الفراء قالا: مثبطين، وحدثنا خلف عن الخفاف عن سعيد عن قتادة: {مُعَاجِزِينَ} قال: سابقين. وأخبرنا الأثرم عن أبى عبيدة: مسابقين، وأخبرنا أبو عمر عن الكسائي وسلمة عن الفراء: معاجزين: معاندين[8]. وقال أبو زيد إنه ليعاجز ويكارز إلى ثقة أي: يميل"[9].

وقال الأزهري: "قلت: ومعنى الإعجاز الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلانٌ، أي: فاتني. وقال الليث: أعجزَني فلانٌ، إذا عَجزت عن طلبه وإدراكه... وفي كلام بعض الحكماء: "لا تَدَبَّروا أعجازَ أمورٍ قد ولَّت صُدورها"، يقول: إذا فاتك الأمر فلا تُتبعْه نفسَك متحسِّراً على ما فات، وتعزَّ عنه متوكِّلاً على الله... وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال: الكلب: مسمار مَقبِض السيف. قال: ومعه آخرُ يقال له: العَجوز، وقال الليث: العجوز: نصل السيف، قلت: والقول ما قال ابن الأعرابي"[10].

يقول ابن فارس: "عجز: العين والجيم والزاء أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على الضَّعف، والآخر على مؤخَّر الشيء. فالأول عَجِزَ عن الشيء يعجز عَجْزاً، فهو عاجزٌ، أي

ضَعيف. وقولهم إنّ العجزَ نقيضُ الحَزْم فمن هذا؛ لأنه يَضْعُف رأيُه. ويقولون: "المرء يَعْجِز لا مَحَالة". ويقال: أعجزَني فلانٌ، إذا عَجِزْت عن طلبه وإدراكه. ولن يُعجز اللهَ تعالى شيءٌ، أي: لا يَعجِز اللهَ تعالى عنه متى شاء. وفي القرآن: {لَنْ نُعْجِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً} [الجن 12]، وقال تعالى: {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ} [العنكبوت 22، الشورى 31]. ويقولون: عَجَزَ بفتح الجيم، وسمعتُ عليَّ بن إبراهيمَ القطَّان يقول: سمعت ثعلباً يقول: سمعتُ ابنَ الأعرابيّ يقول: لا يقال: عَجِزَ إلاَّ إذا عَظُمَتْ عجيزتُه.

ومن الباب: العجوز: المرأة الشَّيخة، والجمع عجائز. والفعل عجَّزت تعجيزاً. ويقال: فلانٌ عاجَزَ فلاناً، إذا ذَهَب فلم يُوصَل إليه. وقال تعالى:{يَسْعَوْنَ فِي آياتِنا مُعَاجزين} [سبأ 38]. ويجمع العجوز على العُجُزِ أيضاً، وربَّما حملوا على هذا فسمَّوا الخمرَ عجوزاً، وإنما سمَّوها لقدَمها، كأنَّها امرأةٌ عجوز. والعِجْزَة وابنُ العِجْزَة: آخرُ ولد الشَّيخ... وأمَّا الأصل الآخر فالعَجُز: مؤخَّر الشيء، والجمع أعجاز، حتى إنهم يقولون: عَجُز الأمرِ، وأعجازُ الأمور. ويقولون: "لا تَدَبَّرُوا أعجازَ أمورٍ ولَّتْ صدورُها".

وما تَركْنا في هذا كراهةَ التّكرار راجعٌ إلى الأصلين اللذين ذكرناهما. وسمِعنا من يقول إنّ العَجوز: نصلُ السَّيف. وهذا إنْ صحَّ فهو يسمَّى بذلك لِقدمه كالمرأة العجوز، وإتْيان الأزمنة عليه"[11].

سبق ترجيح الأزهري لقول ابن الأعرابي بأن العجوز مسمار آخر غير الكلب الذي هو مسمار في نصل السيف، وعليه فنصل السيف له مسماران أحدهما الكلب، والآخر العجوز وهو المتأخر، فكأنه دعامة لاحقة؛ فليس العجوز هو نصل السيف، ومعه يذهب توجيه ابن فارس بأنه لقدمه سمي عجوزاً، والدليل على ذلك أن هذا الاسم أُطلق عليه من البداية لا بعد تطاول الأيام، فهو اسم أصيل لا طارئ.

وجاء عند الراغب: "عجز الإنسان: مؤخره، وبه شبه مؤخر غيره. قال تعالى: {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ} [القمر:20]، والعجز أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجز الأمر، أي: مؤخره، كما ذكر في الدبر، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة. قال تعالى: {أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ} [المائدة:31]، وأعجزت فلاناً وعجزته وعاجزته: جعلته عاجزاً. قال: {وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ} [التوبة:2]، {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} [الشورى:31]، {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [الحج/51]، وقرئ: {معجزين}، فمعاجزين قيل معناه: ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا؛ لأنهم حسبوا أن لا بعث ولا نشور فيكون ثواب وعقاب، وهذا في المعنى كقوله: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا} [العنكبوت:4]، و{مُعَجِّزين}: ينسبون إلى العجز من تبع النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك نحو: جهلته وفسقته، أي: نسبته إلى ذلك. وقيل معناه: مثبطين، أي: يثبطون الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم، كقوله: {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الأعراف:45]، والعجوز سميت لعجزها في كثير من الأمور. قال تعالى: {إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ} [الصافات:135]، وقال: {أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ} [هود:72]"[12].

وقد ذهب الأحمد نكري إلى أن البلاغة لا تدخل في المعنى اللغوي، فقال: "وأما معناه اللغوي فهو كون الكلام بحيث لا يمكن معارضته والإتيان بمثله من أعجزته إذا جعلته عاجزاً، فالبلاغة ليست بداخلة في معناه اللغوي؛ ولهذا اختلفوا في جهة إعجاز القرآن مع الاتفاق على كونه معجزاً، فقيل: إنه ببلاغته، وقيل: بإخباره عن المغيبات، وقيل: بأسلوبه الغريب، وقيل: بصرف الله تعالى العقول عن المعارضة"[13].

والصحيح أن هذا التوجيه مبنيٌ على المعنى الاصطلاحي لا على المعنى اللغوي، فجعل البلاغة غيرَ داخلة في المعنى اللغوي صحيح من جهة الأصل اللغوي، لا من جهة المعنى اللغوي المرتبط بمفهوم الإعجاز؛ ولذلك نجده يقول: "وأما معناه اللغوي فهو كون الكلام بحيث لا يمكن معارضته والإتيان بمثله من أعجزته إذا جعلته عاجزاً"، فبمَ تحقق عدم المعارضة؟ أليس بالكلام؟ وما صفة الكلام؟ أليست البلاغة العالية؟ فجعل البلاغة خارجةً عن حدِّ المعنى اللغوي ليس دقيقاً.

ومن جميع النصوص اللغوية المتقدمة يتبين لنا أن مادة عجز في أصلها اللغوي تدل على تقدم شيء على آخر، فهي من المعاني المتضايفة، بمعنى أنه لا يكون إعجاز إلا ومعه عاجز، أو بعبارة أخرى لا يكون هناك سابق إلا ومعه مسبوق متأخر عنه، فالإعجاز على هذا هو الفوت والسبق كما هي عبارة المتقدمين، وعليه فالعجز الذي هو الطرف الآخر للإعجاز يدل على التأخر بسبب قوةٍ في المتقدم تفوق المتأخر في الصفات والأفعال؛ ولهذا فالمتقدم مُعجِز، والمتأخر عاجز، يقول الزمخشري بعبارة وجيزة هذا المعنى: "فلما تجاوب كله أي: القرآن بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء، وتناصر صحة معان وصدق إخبار، علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره، عالم بما لا يعلمه أحد سواه"[14].

وقد ذهب كثير من اللغويين إلى جعل العجز من باب الضعف، وهذا صحيح باعتبار الطرف الآخر لا باعتبار الذات المنفردة في أصل المعنى اللغوي، أي: أن الضعف ملحوظ في مقابلة الطرف الآخر الذي هو القوة السابقة، فالعجز هو الضعف المسبوق بهذا الاعتبار، ومع كثرة الاستخدام تُنوسي هذا الملحظ وأصبح يُطلق العجز على الضعف مطلقاً.

ثانياً: الإعجاز اصطلاحاً: القدر الذي يعنينا من المعنى اللغوي في الباب الاصطلاحي أن إعجاز القرآن يدل على أن القرآن فيه من صفات القوة والكمال ما لا يستطيعه عقل بشر، فضعف البشر معلول وعلته سبق القرآن؛ لما اتصف به السابق من صفات القوة والتمام بالنسبة للمسبوق، حيث أصبح المسبوق ضعيفاً متأخراً، أي: عاجزاً عن بلوغ رتبة الطرف الآخر المتصف بالقوة والتمام، أي: المعجز، وهذا ما يعنينا في هذا الباب، في بيان إعجاز القرآن للعرب في سبقه وتفوقه، وعلو بلاغته، وارتفاع صوت فصاحته، بحيث عرفوا من أنفسهم الضعف والقهر معاً، والتأخر والتراجع والعجز جميعاً، حتى أصبح القرآن بذلك مبيناً وكاشفاً لحجم القوة البشرية الذي عرفه العرب من بلاغة كلامهم، ومعه عرفوا ربانية الكلام النازل على قلب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، وبه تم العجز من بدايات الآيات النازلات، ومن مطالع السور المكتملات، وحينئذ وجدناهم لجأوا إلى بابٍ لم يعتادوه، وفروا إلى سبيلٍ لم يسلكوه، فكان ذلك دليلاً على الاستسلام، وأمارةً على الانهزام، فحصل من مجموع ذلك كله القذف والاتهام، مما جعل القرآن يرد عليهم متحدياً لألسن القوم بأن يأتوا بمثل القرآن أو بعضه، وهو ما رماهم في صحراء تهامة لا يعلمون دربهم ولا يهتدون سبيلهم، غير أنهم اهتدوا إلى العجز والإعجاز معاً، وبذلك بان إعجاز القرآن فأبان عجزهم.

وبذلك يكون القرآن سابقاً جميع ما نطق به البشر في بابي العلم والبلاغة، وبه يكون العرب مسبوقين غير قادرين على الوصول، وبه يتحقق التأخر الذي علته الضعف والنقص فيمن اعتاد الريادة في بابي البلاغة والفصاحة، فإعجاز القرآن هو سبق القرآن غيره إلى قيام الساعة، فهو إعجاز مطلق غير نسبي، بمعنى أنه مستمر إلى انقضاء الحياة، وهذا ما يجعل القرآن صاحبَ الكلمة الفصل في جميع مجالات الحياة؛ لأنه المتصف بصفات الكمال المطلق التي هي عبارة عن صفة الله تعالى، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف:52].

ومن هنا فإعجاز القرآن هو: سبق القرآن البشر في علومهم وبلاغتهم، وقعودهم عن ذلك السبق ضعفاً من أنفسهم.

ولقد علم العرب – وهم أبلغ أمم الأرض وأفصح البشر– قعودهم عن بلوغ رتبة القرآن من أنفسهم، وأنه سابق لما اعتادوه من طرق البلاغة والفصاحة والخطابة، وهو كذلك ناقض لما اعتادوه من طرق الكلام ومعاني البيان، ولذلك لم يستطيعوا الرد عندما ألزمهم الحجة وضرب لهوات أفواههم بما فيه مطعنهم، وهذا واضح بيِّن فيما ورد في كتاب الله تعالى من تحدٍ لقدراتهم وأقوالهم.

هذا ومصطلح إعجاز القرآن لم يأتِ في كتاب ولا سنة ولا في كلام سلف الأمة، بل جاء على ألسن العلماء والمفسرين بعد حرب العقيدة مع الآخر، وبعد نقل أفكار ومعتقدات الأمم الأخرى إلى الساحة العلمية الإسلامية؛ ولذلك لم نجد في روايات السلف شيئاً عن هذا المصطلح، بل وجدناه في بيئة المتكلمين، وفي حدود الاطلاع فإن أول من وردنا عنه لفظ الإعجاز ومشتقاته هو إمام العربية الجاحظ، وهو في ذلك متبوع، وسيأتي نص كلامه في الصفحات القادمة.

وقد ذهب أساتذة الإعجاز إلى بيان المقصود منه، فقال الخطابي: "واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني"[15].

وذهب القاضي عبد الجبار الهمذاني إلى بيانه بقوله: "فمعنى قولنا في القرآن: إنه معجز: أن يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعلَ مثله في القدر الذي اختص به"[16]، وجاء عند صاحب القاموس: "ومُعْجِزَةُ النبي: ما أَعْجَزَ به الخَصْمَ عندَ التَّحَدّي والهاءُ للمُبالَغَةِ"[17].

وقد ذكر الشريف الجرجاني تعريفين للإعجاز فقال: "الإعجاز في الكلام هو أن يؤدى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق"[18]، ثم قال في بيان حده: "حد الإعجاز هو أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته"[19]، وقد شرح التعريف الأول الأحمد نكري فقال: "فإعجاز كلام الله تعالى إنما هو بهذا الطريق، وهو كونه في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة على ما هو الرأي الصحيح. والمراد بكونه أبلغ من جميع ما عداه أنه أبلغ من كل ما هو غير كلام الله تعالى حتى لا يمكن للغير الإتيان بمثله؛ لأن الله تعالى قادر على الإتيان بمثل القرآن مع كونه معجزاً، والذي ذكرنا هو المعنى الاصطلاحي للإعجاز على ما هو الرأي الصحيح"[20].

والناظر في هذه التعريفات يجد أنها تعريفات وصفية وهذا شأن التعريفات عموماً، لكن – في ظني – ما يتعلق بالإعجاز يجب أن يدخل في تضاعيفه الجانب التعليلي، لاسيما أن الإعجاز من المصطلحات التي كثُر حولها الجدل في الأوساط العلمية، بل إننا نجد أن هذا المصطلح قد سلك فيه كثيرٌ من غير المختصين، والسبب يعود في ذلك إلى عدم استقرار المصطلح في تراثنا من حيث بيان حده ورسمُ حدوده، فوجدنا ذلك الجدل الطويل حول المصطلح، وقد بلغ الأمر ببعض الباحثين أن زعم أن لم يفهم أحدٌ المرادَ بالإعجاز، ومثل هذه التصريحات لا تخفى على مطلع، ولا تغيب عن ممارس.

وقد قال السكاكي كلمته في هذا الباب، وهو أن الإعجاز أمرٌ خفي لا يُمكن وصفه، وفي ذلك يقول: "واعلم أن شأن

الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه؛ كاستقامة الوزن يدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين، نعم للبلاغة وجوه ملتثمة ربما تيسرت إماطة اللثام عنها لتجلي عليك، أما نفس وجه الإعجاز فلا"[21].

فالسكاكي يتكلم هنا عن الذوق البلاغي، وهذا الذوق لا يتمكن منه الذائق إلا بممارسةٍ طويلةٍ لعلمي المعاني والبيان، فهو لا يعني بالذوق البلاغة؛ لأن البلاغة بإمكانك أن تميط اللثام عنها كما ذكر، وإنما يعني بالذوق ما يعيه الذائق من المعاني المعبر عنها بألفاظ منظومة بأداة بلاغية، وهذا الوعي بالمعاني الناشئ عن الذوق هو ما يعين المتدبر على إدراك الإعجاز، لكن لا يستطيع أن يصف إدراكه للإعجاز؛ لأن الإعجاز يُدرك ولا يوصف، وإنما الذي يوصف هو البلاغة، وهذا الوصف دليل إدراك الإعجاز، وعليه فالإعجاز عند السكاكي له مفهومه وملامحه وصفاته، وهذه الملامح لا توصف ولا تُلمس بأداة العقل كما هو الأمر في البلاغة، وإنما تُدرك بالعقل والنفس معاً، فتترك أثرها في المتلقي.

ومذهب السكاكي هذا في الإعجاز مذهب مقنع لمن تدبره وفهم مراد السكاكي من ورائه، فالمراد كما يظهر لي أن السكاكي لا يريد من ذلك قطع الطريق على تفهم الإعجاز وبلوغ مفهومه، بل الذي يريده هو بيان الطريق الموصل للإعجاز وهو الأخذ بعلوم البلاغة فترة من الزمن لتحصيل الملكة، فالذي يوصف هو علوم البلاغة وأساليبها، فإذا وصفت ارتسمت على الوجوه ابتسامة تذوق الإعجاز، وحينئذ يكون الإعجاز قد بلغ مبلغه من تلك النفوس، وهذا الكلام لا يتعارض ألبتة مع ترسيخ مفهوم الإعجاز أو وصفه، بل إنه مبنيٌ على كلام المتقدمين لاسيما الخطابي وابن عطية.

وعليه فإن الذي يعنينا في هذه المسألة هو أن الإعجاز ذوق مبني على علم وممارسة، ولا يتأتى لأحد درك الإعجاز ما لم يعلم أصول العلم البياني كونه أداةً موصلةً إلى درك الإعجاز، ويجب أن يكون إلى ضميمة علمي المعاني والبيان الكاشفين عن أسرار النظم علم اللغة باعتباره الكاشف عن معاني الألفاظ، فلا يتأتى لأحد أن يفهم المعنى ما لم يحط بالمبنى من حيث المفردة والتركيب معاً، وبذلك يستطيع المتدبر أن يصل إلى المقصود من المعاني، وعليه فإن المعنى المراد هو مقصود النظم واللفظ، وهذا المعنى هو الذي لأجله أُنزل القرآن، وبه تتكامل الرؤية صوب الإعجاز.

المطلب الثاني: التحدي لغةً واصطلاحاً

أولاً: التحدي لغةً: ما يذكره علماء الإعجاز قديماً وحديثاً في معنى التحدي غير مؤصل من الناحية اللغوية، فهم يأتون على المصطلح مضموماً إلى مصطلح الإعجاز، ويجعلونهما في التأصيل الاصطلاحي من وادٍ واحد، بل إن وقفوا مع التأصيل الاصطلاحي فهم يقفون فيه مع التأصيل اللغوي للإعجاز ويجعلونه كافياً في بيان معنى التحدي، ولعل هذا الصنيع جعل الأمر مختلطاً، حيث نُزِّل التحدي منزلة الإعجاز، فكانت النتيجة أنهما مصطلحان متساويان أو مترادفان أو مما اختلف لفظه واتفق معناه، وليس الأمر كذلك كما سيأتيك نبأه بعد حين، وسأقف مع نصوص لغوية نستبين منها المعنى الدقيق لمصطلح التحدي.

جاء في العين: "حدو: حدا يحدو حدواً، وأعرفه حداء ممدود إذا رجز الحادي خلف الإبل، وحدا يحدو حدواً إذا تبع شيئاً، ويقال للحمار: حادي ثلاث وحادي ثمان إذا قدم أمامه عدة من أتنه، وتقول للسهم إذا مضى: حدا الريش، والحُديا من التحدي، يقال: فلانٌ يتحدى فلاناً أي: يباريه وينازعه الغلبة يقول: أنا حُدياك بهذا الأمر، أي: ابرز لي وجارني، قال: حديا الناس كلهم جميعاً"[22].

ونقل الصاحب ابن عباد عن ابن الأعرابي قوله: "احتدى يحتدي: صار حادياً. والتحدي: النجاء في السير. والحُدَيَّا: من التحدي وهو المباراة والمنازعة. وأنا حُدَيَّاك بهذا الأمر، أي: ابرز لي فيه وحدك. وحديا لك بالشباب، كأنه يتحداها بشبابه"[23]. ويقول ابن فارس: "الحاء والدال والحرف المعتل أصلٌ واحد، وهو السَّوق. يقال: حَدَا بإبله: زجَر بها، وغَنَّى لها... وقولهم: فلان يتحدَّى فلاناً، إذا كان يُباريه ويُنازعه الغلبة، وهو من هذا الأصل؛ لأنه إذا فعل ذلك فكأنه يحدوه على الأمر. يقال: أنا حُدَيَّاكَ لهذا الأمر، أي: ابرُزْ لي فيه"[24].

يتبين لنا من النصوص اللغوية الواردة في مادة التحدي أنها تدل في مجموعها على معنى المسير للوصول إلى غاية محددة؛ ولأجل ذلك أطلق على راعي الإبل حين يقودها في مسير محدد ليصل غايته الحادي؛ لأنه يحدو بها عبر ترانيمه إلى وجهته، ثم لما كانت غاية المحارب والمبارز هزيمة خصمه أُطلق على ذلك التحدي؛ لأنه يريد أن يحدو بخصمه إلى غايته وهي إيقاع الهزيمة به، فحسُن أن يقول الخصم لخصمه: أنا حُدَيَّاك، فاختص التحدي في الوصول إلى المنازعة بقصد الغلبة، وعليه فلا بد في التحدي من وجود طرفين، تكون الغلبة للأقوى، وهذه الغلبة هي الغاية التي يسير لأجلها الخصم، ويطلب من خصمه المقابل أن يسير نحوها كذلك، فهذا أصل هذه المادة في الجانب اللغوي.

ثانياً: التحدي اصطلاحاً: لم يقف علماؤنا على تعريف

التحدي كما وقفوا على تعريف الإعجاز، فكان تعريف التحدي مضموماً إلى تعريف الإعجاز، فمن ذلك ما ذكره السيوطي في تعريف المعجزة بأنها "فعل من أفعال الله خارق للعادة مقترناً بدعوى النبوة، موافقاً لدعواه عند التحدي مع عدم المعارضة"[25]، ومثله أبو البقاء حين قال: "معجزة النبي ما أعجز به الخصم عند التحدي"[26]، وقال: "والخارق معجزة إن قارن التحدي"[27]، وكذلك صنع المفسرون، فالزمخشري عند قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ} [مريم:73]: يقول: "ظاهرات الإعجاز تحدّى بها فلم يقدر على معارضتها"[28]، فالتحدي عند علمائنا ارتبط بالإعجاز ارتباطاً شرطياً، بمعنى أنه إن وجد عنصر التحدي فالخارق حينئذ معجز، فالتحدي على هذا أحد عناصر الإعجاز، الذي عرفه بعضهم بقوله: "التحدي: طلب المعارضة على شاهد دعواه"[29].

وقد ذهب ابن عطية إلى أن "التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه، ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كله علماً؛ فإذا ترتبت اللفظة من القرآن؛ علم بإحاطته أيَّ لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره"[30]، فالتحدي عند ابن عطية يقع في ثلاثة أمور؛ وهي: النظم والمعاني الصحيحة وفصاحة الألفاظ، ووجه الإعجاز في ذلك كله هو أثر علم الله تعالى في الكلام، فهو العالم سبحانه بالمعاني الصحيحة، وبالألفاظ التي لا يصلح في مواقعها إلا هي، وبالنظوم التي تكشف عن دقة المراد، ولا أحد من البشر يحيط علمه بها مجتمعة أو منفردة؛ فلأجل ذلك وقع التحدي بهذه الأمور، وعليه فالسبب الذي أوقع العرب في الهرب من معارضة القرآن، هو بشرية علمهم، فكيف يقوى البشري على معارضة الإلهي؟!

والملاحظ أن مراد ابن عطية بالتحدي هاهنا هو ما جعله الخطابي علة الإعجاز؛ ولعل الأمر يظهر بادي النظر مختلطاً مع مذهب الخطابي، لكن عند التدقيق نجد أنهما متفقان في النتيجة، وهو أن الإعجاز عند الخطابي الذي هو صفة القرآن كان بهذه الثلاثة الأركان وهي الحامل والمحمول والرابط، والتحدي عند ابن عطية إنما وقع بهذه الثلاثة التي عجز العرب عن الإتيان بكلام يتصف بها، وبه تكون هذه الأركان الثلاثة هي الإعجاز من جهة الصفة، وبها وقع التحدي باعتبارها أداة الاعتراف بعجز الخصم، وبناءً على هذا فابن عطية يرى التحدي كامناً في القرآن كله، ألا وهو التحدي بالمعنى واللفظ والنظم، والوجه الذي لأجله عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن هو أنه ناشئ عن علمه سبحانه، وعليه فالإعجاز عنده كامنٌ في الوجه البياني، لا في غيره.

ويرى ابن عطية رحمه الله تعالى أن التحدي يأتي على معانٍ، وهي: الدعاء إلى الدين مطلقاً، والدعاء بعد العجز عن معارضة المعجزة وظهور ذلك، والدعاء إلى الإتيان بمثل المعجزة[31]، والتحدي يكون أحياناً بالمعنى دون التصريح بالمتحدى به[32]، والملاحظ أن مفهوم التحدي عند ابن عطية في هذا النص يأخذ معنى الدعوة إلى الدين، أي أن التحدي وقع لأجل الدعوة إلى الدين، لاسيما في النوعين الأولين، ونستطيع أن نضيف نوعاً آخر وهو الدعاء إلى الدين بعد العجز عن معارضة المعجزة والتهكم بها، وهو الذي يعنينا في دراستنا هذه؛ لأنه الألصق بمفهوم التحدي في كتاب الله تعالى.

المطلب الثالث: آيات التحدي:

سأورد آيات التحدي بحسب الترتيب المصحفي، ثم بعد ذلك أرتبها ترتيباً تاريخياً وفق اختلاف المفسرين في ذلك: قال سبحانه: {وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة:23-24]. وقال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس:38]. وقال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [هود:13]. وقال تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء:88].

وقال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ * قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [القصص: 48-49]. وقال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} [الطور:33-34].

لم يختلف المفسرون على أن أول هذه الآيات نزولاً هي آية القصص فالإسراء، وأن آخرها نزولاً هي آية البقرة، لكنهم اختلفوا في بقية الآيات لاسيما آيات سورة هود ويونس والطور، فذكر الماوردي في النكت والعيون أن آية يونس نزلت قبل آية هود وآية هود نزلت قبل آية الطور، وذلك فيما "قد روي في ترتيب السور بمكة والمدينة أحاديث، أوفاها ما رواه آدم ابن أبي إياس عن أبي شيبة شعيب بن زريق عن عطاء الخراساني قال: بلغنا أن هذا ما نزل من القرآن بمكة والمدينة الأول فالأول، فكان أول ما نزل.." [33] ثم سرد الحديث بطوله، وذهب كثيرٌ من المفسرين إلى أن ترتيب آيات التحدي بدأ

بالطور ثم هود ثم يونس، ولا نجد في ذلك روايةً تصح، فيبقى الأمر على الترجيح والاحتمال من خلال سياق الآيات والسور، وكما هو متقرر فإن الدرس الجاد مهما بلغ من الدقة والموضوعية؛ فإنه لا يعدو أن يكون ظناً مبنياً على وجهات نظر واجتهاد، ما لم نقف على رواية تاريخية توقفنا على الحق القاطع، وتدفع عنَّا عناء التأويل.

فمن رأى أن ترتيب الآيات الطور فهود فيونس فنظره مبني على أن التحدي بدأ عاماً: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ}، فلما عجزوا عن ذلك تحداهم بعشر سور مفتريات: {فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ}، فلما عجزوا عن ذلك تنزل معهم إلى سورة واحدة: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ}، وهذا النظر مبني على الكم العددي من السور، وعلى التخفيف والتنزل مع القوم، وهو ترتيب تتلقاه العقول بالقبول، ولا ترده بالإبطال والعدول.

وإذا أردنا أن ننظر من زاوية أخرى سنجد وجهةً أخرى تجد قبولاً عند آخرين، وهي أن تكون آية يونس هي النازلة أولاً، وذلك أن الآية تحدت العرب بأن يأتوا بسورة واحدة، فلما عجزوا عن السورة تنزل معهم إلى عشر سور مفتريات، والافتراء هاهنا يخفف الوطأة على المتحدى، ويجعل الأمر سهلاً يسيراً، لاسيما أنهم أبدعوا في جانب البلاغة ولم يتمكنوا في جانب المعاني والعلوم، فكان التنزل معهم فيما يتقنونه وترك ما لا يتقنون، ومن أتقن فناً سهل عليه أن يأتي منه بالكثير دون القليل مما لا يتقنه، فلما عجزوا عن ذلك وذاك تحداهم بأن يأتوا بحديث مُتَقَوَّل كما يزعمون ويتهمون، والحديث وإن اتصف بالعموم إلى أنه أخف مؤنة وألطف كلفة من السورة الواحدة، ولما كان الأمر متوقفاً على النقل، ولا نملك نقلاً صحيحاً بالذي كان؛ فإننا لا نستطيع أن نجزم برأي، فإن التوقف كذلك رأي، وأنعم بقولك: لا أعلم.

قال البغوي: "فإن قيل: قد قال في سورة يونس: {فأتوا بسورة مثله}، وقد عجزوا عنه فكيف قال: {فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ}؟! فهو كرجل يقول لآخر: أعطني درهماً فيعجز، فيقول: أعطني عشرة؟! الجواب: قد قيل سورة هود نزلت أولاً، وأنكر المبرد هذا، وقال: بل نزلت سورة يونس أولاً، وقال: معنى قوله في سورة يونس: {فأتوا بسورة مثله}، أي: مثله في الخبر عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد، فعجزوا، فقال لهم في سورة هود: إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثله في الأخبار والأحكام والوعد والوعيد فأتوا بعشر سور مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد، وإنما هي مجرد البلاغة، {وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ} واستعينوا بمن استطعتم، {مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}"[34]، قال ابن عطية: "وقد اختلف الناس في هذا الموضع فقيل: دعوا إلى السورة المماثلة في النظم والغيوب وغير ذلك من الأوصاف، وكان ذلك من تكليف ما لا يطاق، فلما عسر عليهم خفف بالدعوة إلى المفتريات"[35]. وقال ابن الزبير الغرناطي: "لما قيل هنا: مفتريات، فوسع عليهم، ناسبه التوسعة في العدد المطلوب؛ لأن الكلام المفترى أسهل فناسبته التوسعة، أما الوارد في السورتين قبلُ – سورة البقرة ويونس – فلم يذكر لهم فيهما أن يكون مفترى عليه، بل السابق من الآيتين: المماثلة مطلقاً، وذلك أصعب وأشق عليهم مع عجزهم في كل حال، فوقع الطلب حيث التضييق بسورة واحدة، وحيث التوسعة بعشر سور مناسبة جليلة واضحة وقد جاوب بما هذا معناه بعضُ المفسرين"[36].

ونحن لا نملك دليلاً قاطعاً يرجح رأياً على آخر، فالأدلة متكافئة من حيث ثبوتها، وكذلك من حيث تنازعها في وجهات النظر، وأنت كما ترى فإن النظر يذهب بك إلى أوجهٍ من الفهم لا تقدر معها إلى تغليب جانب وبتر آخر، بل تقصر الأمر على قولك أرى هذا ولذاك وجاهة، وأترك الأمر إلى صاحب الأمر، فإن اللطافة غاية اللطافة أن تكون صاحب فهم وبصر بدقائق المعاني، لا أن تقف على رأي وتلغي غيره، فهذه صنعة غير مرضية، وقوة غير مستديمة.

المبحث الثاني

الإعجاز والتحدي العلاقة الاتصالية والمفهوم الانفصالي

سأتكلم في هذا المبحث في مطلبين اثنين، أتناول في الأول منهما الفرق بين الإعجاز والتحدي، وفي الآخر أثر العلاقة بين المصطلحين في تضييق دائرة الاختلاف.

المطلب الأول: الفرق بين الإعجاز والتحدي

وهنا مسألة جدُّ مهمة، تبعث المتفكر فيها على حسن التأمل وطول الأناة في التدبر، وهي العلاقة بين الإعجاز والتحدي، فهل الإعجاز هو عين التحدي؟ أو أن التحدي شيء والإعجاز شيء آخر؟ أو أن بينهما وشائج اتصال ودلائل انفصال؟

هذه المسألة من المسائل التي ترجع بداياتها إلى بدايات المرحلة الأولى في تدوين مسائل الإعجاز والتحدي، وسأقف في هذه المسألة مع ثلاثة أركان من أركان البيان والإعجاز والبلاغة، الجاحظ والباقلاني والجرجاني، فهم المتقدمون السابقون، وهم أصحاب الكلمة المحررة في هذا الباب، والعبارة المحققة والجملة المدققة في هذا الميدان، وهم المجدفون في عرض المحيط ليبلغوا غايةً بعد غاية، ومن جاء بعدهم إنما اقتفى أثرهم، ولأجل ذاك سأكتفي بكلماتهم في بيان العلاقة بين الإعجاز والتحدي.

وسأبدأ بما جاء عند الجاحظ في رسالة حجج النبوة،

المطبوعة ضمن رسائل الجاحظ، فقد جاء فيها ذكر الإعجاز بالمعنى المتعارف عليه مقروناً بذكر التحدي في سياق واحد، فغالب الظن أن هذه البداية من الجاحظ كانت صاحبة الصوت المسموع والحجة الدامغة لمن قرأ كلامه فقرت به نفسه، واستعان به على التأصيل والتحرير، ممن جاء بعده من أئمة العربية واللغة والتفسير، وعليه فإن وقفتنا مع كلام الجاحظ سيكون لها شأن في إبراز العلاقة الاتصالية بين هذين المصطلحين؛ لإيجاد حالة الفكاك في الأبعاد الدلالية لهاتين الكلمتين، يقول الجاحظ: "ومحال في التعارف، ومستنكر في التصادق، أن يكون الكلام أخصر عندهم، وأيسر مؤونة عليهم، وهو أبلغ في تكذيبهم وأنقض لقوله... ليؤلف واحد من شعرائكم وخطبائكم كلاماً في نظم كلامه، كأقصر سورة يخذلكم بها، وكأصغر[37] آية دعاكم إلى معارضتها.

فدل ذلك العاقل على أن أمرهم في ذلك لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكونوا عرفوا عجزهم، وأن مثل ذلك لا يتهيأ لهم، فرأوا أن الإضراب عن ذكره، والتغافل عنه في هذا الباب – وإن قرعهم به – أمثل لهم في التدبير.. فقد ادعوا القدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه، وهو قوله عز ذكره: {وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا}[الأنفال:31]، وإما أن يكون غير ذلك.

... ولو لم يكن تحداهم من كل ما قلنا، وقرعهم بالعجز عما وصفنا وهل هذا إلا بمديحه له، وإكثاره فيه لكان ذلك سبباً موجباً لمعارضته ومغالبته وطلب تكذيبه، إذ كان كلامهم هو سيد عملهم.. فحين استحكمت لفهمهم وشاعت البلاغة فيهم، وكثر شعراؤهم، وفاق الناسَ خطباؤهم، بعثه الله عز وجل، فتحداهم بما كانوا لا يشكون أنهم يقدرون على أكثر منه.

فلم يزل يقرعهم بعجزهم، وينتقصهم على نقصهم، حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم، كما تبين لأقويائهم وخواصهم. وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبياً قط، مع سائر ما جاء به من الآيات، ومن ضروب البرهانات، ولكل شيء باب ومأتىً، واختصار وتقريب، فمن أحكم الحكمة إرسال كل نبي بما يفحم أعجب الأمور عندهم، ويبطل أقوى الأشياء في ظنهم"[38].

فالعجز وصف ذاتي للعرب، وحقيقة ماثلة للعيان، وحين صدر تكذيب القرآن، وقع التحدي وطلب المعارضة، فمفهوم التحدي في كلام الجاحظ يدور حول طلب المعارضة حين التكذيب، وأما الإعجاز فهو كون القرآن معجزاً للعرب أن يأتوا بمثله، وليس الإعجاز هو طلب المعارضة أو التحدي، وإنما هو شيء عرفوه من أنفسهم فكابروه، وبه يستبين لنا أن الجاحظ يفرق بين الإعجاز والتحدي من هذه الجهة.

وقد قرن الباقلاني بينهما فجعل الإعجاز مترتباً على التحدي، فقال: "وليس يكون معجزاً إلا بأن يتحداهم إلى أن يأتوا بمثله؛ فإذا تحداهم وبان عجزهم صار ذلك معجزاً، وإنما احتيج في باب القرآن إلى التحدي؛ لأن من الناس من لا يعرف كونه معجزاً؛ فإنما يعرف أولاً إعجازه بطريقٍ؛ لأن الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحروفه وصورته، وإنما يحتاج إلى علم وطريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزاً؛ فإن كان لا يعرف بعضهم إعجازه فيجب أن يعرف هذا حتى يمكنه أن يستدل به، ومتى رأى أهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه بأجمعهم مع التحدي إليه، والتقريع به والتمكين منه صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء، وانقلاب العصا ثعباناً تتلقف ما يأفكون، وأما من كان من أهل صنعة العربية والتقدم في البلاغة، ومعرفة فنون القول ووجوه المنطق فإنه يعرف حين يسمعه عجزه عن الإتيان بمثله"[39].

وصنيع الباقلاني هنا محمول على الإثبات لا على البيان والوصف، بمعنى أنه هنا يريد إثبات أن الأداة العملية العلمية التي تثبت الإعجاز هي التحدي، وهذا كلام صحيح وصريح في آن؛ فإن الإعجاز إنما يثبت لدى الخصم بعد التحدي، لا أنه غير ثابت قبل ذلك، فالإعجاز صفة القرآن منذ نزوله حتى اكتماله، لا يتطرق إلى ذلك ريب، وعليه فالإعجاز صفة القرآن والتحدي أداة الإثبات للخصم حين التكذيب لا أنهما شيء واحد، الأمر الذي أوقع الكثير في الخلط بينهما فجعلوهما من مشرب متحد الانبجاس، وبه تلتقي المفاهيم والمعاني التي قررها الباقلاني بما سبق تقريره قبل ذلك عند الجاحظ.

وإذا ذهبنا إلى ثالث أركان البلاغة العربية فنجده يقول في تعريف التحدي: "إن التحدي –كما لا يخفى– مطالبة بأن يأتوا بكلام على وصف، ولا تصح المطالبة بالإتيان به على وصف من غير أن يكون ذلك الوصف معلوماً للمطالب، ويبطل بذلك دعوى الإعجاز أيضاً؛ وذلك لأنه لا يتصور أن يقال: إنه كان عجز، حتى يثبت معجوز عنه معلوم؛ فلا يقوم في عقل عاقل أن يقول لخصم له: قد أعجزك أن تفعل مثل فعلي، وهو لا يشير له إلى وصف يعلمه في فعله، ويراه قد وقع عليه"[40].

فمعنى التحدي عند الجرجاني يختلف عن معنى الإعجاز، ألا تراه يقول في تعريفه: مطالبة بأن يأتوا بكلام على وصف، أي: على وصف معلوم لدى المُخاطب، وهذا الوصف هو الإعجاز؛ ولذلك نجده قد بنى على جهل هذا الوصف بطلان دعوى الإعجاز، وهذا مسلك دقيق في البيان، وبالفعل كيف يثبت إعجاز الكلام دون علم صفته؟! وعليه فالتحدي هو المطالبة بالإتيان بالكلام الموازي للكلام المعجز، وهو الأداة العملية التي تثبت صدق دعوى النبوة في كون الكلام معجزاً، وأنه كلام رب البشر، فهؤلاء الأئمة قد ذهبوا من خلال ذكرهم

لمصطلح الإعجاز والتحدي إلى التفريق بينهما كما رأينا، ولم يقل أحدٌ بأن الإعجاز والتحدي يقعان موقع الترادف والتساوي.

هذا ويحسن بنا أن نقف مع بنت الشاطئ التي لها الفضل في إثارة هذه القضية حيث ذهبت إلى التفريق بين الإعجاز والتحدي قائلة: "الإعجاز قائم في كل عصر لا يختص به أهل زمان دون زمان، وهذا هو ما نفهمه من كلام الإمام الطبري عما أيد الله به المصطفى من معجزة "على الأيام باقية، وعلى الدهور والأزمان ثابتة، وعلى مر الشهور والسنين دائمة"[41]، فالحديث هنا عن المعجزة، لا عن التحدي كما فهم من نقل هذه الفقرة من كلام الطبري، واستخلص منها "أن الإعجاز فيها واقع في كل عصر، والتحدي بها لازم لأهل كل زمان"، فإن يكن للعرب في عصر المبعث وجه اختصاص بالتحدي؛ فلأنهم أصحاب هذا اللسان العربي يدركون أسرار بيانه، فمناط التحدي إذن، هو عجز بلغاء العرب في عصر المبعث عن معارضة هذا القرآن، دون أن يُفهم من هذا أن حجة إعجازه خاصة بعصر دون عصر، أو على العرب دون العجم، وكان الخلط بين ما في ثبوت عجز المشركين من العرب عن الإتيان بسورة من مثله، من حسمٍ لموقف التحدي، وبين خلود المعجزة وبقاء الحجة بها ثابتة على مر الدهور، هو مدعاة الالتباس في القضية وطول الجدل فيها"[42].

والذي يذهب إليه الباحث في هذه القضية الحساسة، هو التفريق بين الإعجاز والتحدي، ويكمن التفريق في مجموعة من النقاط، سأحاول بيانها وإيضاحها دون تطويل أو تفصيل، وهي كالآتي:

أولاً: الإعجاز صفة الكلام، فقد اتصف القرآن بالإعجاز، بينما التحدي فهو صفة الأفعال، بمعنى أن المتحدي يتحدى بالقرآن، فحينئذ يُوصف فعل طلب المعارضة بالتحدي؛ ولذلك قال سبحانه: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} [البقرة:23]، فطلب الإتيان بسورة هو طلب فعل.

ثانياً: التحدي أعم من الإعجاز، فكل مُتحدٍّ به معجز وليس شرطاً أن يكون المعجز متحدياً به، فبينهما عموم وخصوص مطلق، هذا فيما يتعلق بمطلق المعجزات، أما إذا نظرنا إلى القرآن فإننا نجد أن القرآن قد وقع التحدي بوجه من أوجهه، وهو الوجه البياني، وعليه فالتحدي كان بأحد أوجه القرآن لا بجميع وجوهه، فيكون الإعجاز حينئذ أعم من التحدي؛ لأنه وقع بأحد تلك الوجوه لا بجميعها، فكل تحدٍ في القرآن هو وجه معجز، وليس كل وجه معجز متحدياً به، فيكون بينهما عموم وخصوص مطلق.

ثالثاً: الإعجاز صفة القرآن منذ اللحظة الأولى لنزوله حتى تمامه، بينما التحدي فلم يكن إلا بعد ظهور أمارات التكذيب والاتهام بالافتراء من قبل المشركين، سواء صرحت الآيات باتهام المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه افترى القرآن، أم لم تصرح؛ فإن التحدي جاء بعد ذلك.

رابعاً: الإعجاز وصف ثابت لا يتغير بالنسبة للمخاطب، فالإعجاز صفة الكلام النازل، بينما التحدي فإنه ينزل بحسب المخاطب، فمن أنكر صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجحد كلام الله تعالى أو ارتاب فيه؛ فإنه حينئذ يُتحدى بالكلام المعجز، وليس بالضرورة أن يقع التحدي ابتداءً؛ ولهذا فإن التحدي لم يقع في جميع معجزات الأنبياء[43]، وإنما وقع في معظمها، فعلمنا من ذلك أن التحدي إنما يكون بحسب موقف المدعو من الدعوة.

خامساً: الإعجاز غاية ومضمون وغايته ذاتية، فالقرآن الكريم مضمونه الإعجاز وهو مقصود لذاته، وهو غاية كذلك ليخضع الناس لدين ربهم، بخلاف التحدي فهو ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو أداة لإثبات الإعجاز من الناحية العقلية، فهو أداة بيد صاحب الدعوة ليثبت أحقية الدين الذي يدعو إليه.

سادساً: سبب الإعجاز واحد وهو علم الله تعالى، فالله أنزل القرآن معجزاً للخلق وهو مفصل على علمه، فسبب الإعجاز واحد وهو أن الله قد أحاط بكل شيءٍ علماً، بينما أسباب التحدي متعددة بحسب الحال، فقد يكون ابتدائياً في دعوة الخلق للتفكر، أو منعهم ووقايتهم من الوقوع في الإنكار، وقد يكون بعد إنكارهم وارتيابهم، وقد يكون تأييداً للدين، فأسباب التحدي متعددة، وسبب الإعجاز واحد.

سابعاً: الإعجاز يخاطب النفس والقلب والعقل جميعاً؛ لأنه دعوة للإيمان والإسلام، وهو خطاب للمؤمن والكافر على حد سواء، بينما التحدي فهو دعوة للعقل ليتفكر ويتدبر، وهو خطاب للكافر المنكر الجاحد لخصوص صدق الرسالة؛ لأنه ليس بالضرورة أن يكون كل كافر منكراً جاحداً.

ثامناً: الإعجاز باقٍ ببقاء كلام الله تعالى، بينما التحدي فهو مرتبط بفقه التعامل مع المدعوين، فقد يُخاطب قوم بالتحدي ولا يخاطب آخرون، فالتحدي متجدد بتجدد الموقف من القرآن، فالتحدي إنما يقع في خطاب المنكر أو الشاك أو من يُنزَّل منزلتهما، ولا يُخاطب به المؤمن المستيقن، بخلاف الإعجاز فهو خطاب للجميع؛ فمن أنكر تُحدي به.

تاسعاً: الإعجاز مستمر على مدى الأيام، لا يختص بوجه واحد أو بزمن واحد، بخلاف التحدي فإن التحدي لا يكون إلا لوجه واحد في الزمن الواحد، وتختلف أوجه التحدي من زمن لآخر؛ فقد وقع التحدي زمن نزول القرآن بالجانب البياني؛ لأن العرب يتقنون اللغة والبيان، بينما في هذا العصر فليس

بالضرورة أن يقع التحدي بالوجه البياني فقط، بل قد يقع بالوجه العلمي أو التشريعي بحسب واقع المنكرين والجاحدين، وما تستدعيه ضرورة الدعوة، وسيأتي زيادة بيان لهذا الفرق في المطلب القادم.

عاشراً: لا أحد يستطيع أن يتصرف بإعجاز القرآن، فالإعجاز وصف ثابت لكلام الله تعالى المتمثل في القرآن، بخلاف التحدي فإنه يخضع لدائرة الاجتهاد، ومثال ذلك، الإعجاز التشريعي في القرآن هو أحد أوجه الإعجاز، وهو ثابت لا تتدخل فيه يد بشر، ولكن لم يقع التحدي بخصوص هذا الوجه، فحينئذ يستطيع أن يتحدى علماء الشرع غيرَهم ممن يُنكر صلاحية التشريع الإسلامي لهذا العصر بأن يأتوا بمثل تشريعاته، تعالج الواقع وتدفع مشاكله، فالإعجاز ثابت، وإظهار مكمن الإعجاز هو المتغير، وهو خاضع لاجتهاد علماء الملة في إظهار أوجه إعجازه بما يتناسب مع معطيات العصر.

حادي عشر: الإعجاز يعم أمم الأرض ولا يختص بأمة دون أمة، بينما التحدي الذي ورد في القرآن فهو خاص بالعرب فحسب؛ فلما وقع الإنكار منهم كان التحدي خطاباً لهم على وجه الخصوص.

فهذه الفروق بين الإعجاز والتحدي تزيل اللثام عن وجه وقع حوله جدل ولغط فسيح لاسيما في هذا العصر، وسبب ذلك تنزيل التحدي منزلة الإعجاز، أو عده والإعجاز شيئاً واحداً، وبمعرفة هذه الفروق وتأملها نستطيع أن نتخلص من كثيرٍ من الإشكاليات التي قد تطرأ على هذا المصطلح، وما يترتب عليه من مسائل وإشكاليات.

المطلب الثاني: أثر العلاقة بين المصطلحين في تضييق دائرة الاختلاف:

وهناك مجموعة من الفوائد وراء التفريق بين الإعجاز والتحدي، تعيننا في إزالة إشكاليات معاصرة حول أوجه الإعجاز، وهي: هل نعدُّ أوجه الإعجاز سوى الإعجاز البياني أوجهاً للإعجاز أو أنها دلائل صدق النبوة؟ هل التحدي يتجدد أو أنه ثابت بالشكل الذي نزل في القرآن الكريم؟ وعلى السؤال السابق: هل تتوقف معرفة إعجاز القرآن فقط بمادة التحدي الواردة في القرآن، أو أن معرفة الإعجاز تستطيعها بقية الأمم ولو لم تعرف أساليب البيان العربي؟

أولاً: هل نعدُّ أوجه الإعجاز سوى الإعجاز البياني أوجهاً للإعجاز أو نعدها دلائل صدق النبوة؟

الجواب عن هذا السؤال يكمن في التفريق بين الإعجاز والتحدي أو في عدم التفريق، فمن لم يفرق فإنه لا يُعد للإعجاز إلا الوجه البياني، باعتبار أن التحدي إنما وقع به، ولعل الذي أثار هذه المسألة إثارةً واضحة وتبعه عليها كثير من الباحثين المعاصرين هو الأستاذ محمود شاكر في تقدمته لكتاب الظاهرة القرآنية للمفكر الجزائري مالك بن نبي رحمهما الله تعالى، فقد جعل بقية أوجه الإعجاز دلائل صدق النبوة، وأتى بإلزامات غير لازمة، بل جعل الأمر مختلطاً عند السابقين واللاحقين، فبعد حديثه عن التفريق بين إعجاز القرآن ودلائل صدق النبوة قال: "والخلط بين هاتين الحقيقتين، وإهمال الفصل بينهما في التطبيق والنظر، وفي دراسة إعجاز القرآن، قد أفضى إلى تخليط شديد في الدراسة قديماً وحديثاً، بل أدى هذا الخلط إلى تأخير علم إعجاز القرآن وعلم البلاغة، عن الغاية التي كان ينبغي أن ينتهيا إليها"[44].

وكلامه رحمه الله تعالى ليس دقيقاً في هذا المجال، فإنه لم يحصل تخليط عند المتقدمين كما زعم؛ وذلك أن المتقدمين عندما رأوا للإعجاز أوجهاً متعددة كان ذلك مبنياً على التفريق الضمني بين الإعجاز والتحدي، ولكن هذا التفريق لم يقع موقع التفعيل في نظر محمود شاكر فاتهم المتقدمين والمعاصرين بهذا الخلط، فهو يرى أن التحدي "إنما هو تحدٍّ بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا بشيء خارج عن ذلك، فما هو بتحدٍّ بالإخبار بالغيب المكنون، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا بعلم ما لا يدركه علم المخاطبين به من العرب، ولا بشيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان"[45].

وهذا التقييد منه بجعل الإعجاز مرتهناً بالتحدي هو الذي قصر النظرة على الإعجاز البياني، وأخرج بقية الأوجه من ذلك وجعلها داخلة في دلائل صدق النبوة، فهو يرى "أن إثبات دليل النبوة، وتصديق دليل الوحي، وأن القرآن تنزيل من عند الله، كما نزلت التوراة والإنجيل والزبور وغيرها من كتب الله سبحانه، لا يكون منها شيء يدل على أن القرآن معجز"[46]، ثم استخلص قاعدة صحيحةً في نفسها، باطلة في سياقها الواردة فيه وهي: "القرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة، أما صحة النبوة فليست برهاناً على إعجاز القرآن"[47].

فكون الإعجاز دليلاً من أدلة صدق النبوة لا العكس، لا يعني أبداً ولا بحال من الأحوال أن يكون الإعجاز مقتصراً على الوجه البياني، باعتبار أن العرب قد امتازت بفصاحة اللسان، وكون البلاغة سليقةً وسجيةً من سجايا العرب لا يعني ذلك أن الإعجاز كامنٌ فيها فحسب – وإن كان هذا الكلام يحلو لبعض المتخصصين في البلاغة –، وإنما الذي يعنيه أن التحدي وقع بشيء قد امتازوا به وظهروا بسببه، وهذا لا يقودنا لنقصر الإعجاز على فترة نزول القرآن؛ فإنه يجعل الإعجاز مقتصراً على أمة بل على جانب من جوانب اهتمامها، وهذا فيه من الإخلال والقصور ما لا يخفى على متأمل، نعم نحن

نُقر ونعترف بأن التحدي وقع للعرب بما يتقنونه من أساليب القول وفنون البيان في أداء المعنى المراد، لكن هذا لا يجعل الإعجاز مرتهناً بمادة التحدي النازلة وقتئذ.

ثم ما ذهب إليه محمود شاكر من تعليل تأخر علم الإعجاز وعلم البلاغة إلى الخلط بين الإعجاز ودلائل صدق النبوة، فيه من تعظيم الصغير وتكثير القليل وتضييق الواسع، فكيف يتأخر علم الإعجاز والبلاغة بسبب خلطٍ بين مصطلحين؟ بل إن ذلك يعود إلى التقليد والانكفاء بعد الاكتفاء من تناول منتج المتقدمين، وهذا شأن العلوم جميعها وليس الأمر مقتصراً على الإعجاز أو البلاغة فحسب، ومع شديد حبي للأستاذ محمود شاكر رحمه الله إلا أنني في هذه المسألة مخالف لمذهبه فيها، وأرى أنه حمل الأمر فوق طاقته، وذهب مذهباً في اتهام علمائنا المتقدمين في التخليط بما لا يليق.

ونخلص إلى أن أوجه الإعجاز المتعددة هي أوجه إعجاز حقيقية، وهي بذاتها دليل صدق نبوة، وما كانت دليلاً لصدق النبوة إلا بعد ثبوت وجه إعجازها باعتبارها قد أوقعت الناس في الضعف والعجز والتأخر عن بلوغ مستوى هذه الأوجه في حال انفرادها أو اجتماعها.

ثانياً: هل التحدي يتجدد أو أنه ثابت بصورته النازلة في القرآن الكريم؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال لا بد من بيان المقصود منه، لما بينا آنفاً أن التحدي هو طلب الإتيان بكلام يوازي الكلام المعجز، أو معارضة القرآن بمثله، ترتب على ذلك أن التحدي إنما يقع لمقصود وغاية مرادة من ورائه، والتحدي ليس مسلكاً عبثياً ارتجالياً بقدر ما هو صاحب هدف ومقصد وغاية، إما لبيان صدق دعوى النبوة، أو لبيان عجز المنكر الجاحد، أو لإدخال الطمأنينة في قلوب المؤمنين، وعليه فالتحدي حين وقع في بدايات نزول القرآن إنما وقع في سياق الآيات المتحدثة عن اتهام المشركين وتكذيبهم للقرآن، وعليه فكانت آيات التحدي نازلةً لهذا المقصد وهو بيان زيف تكذيبهم وسقوط جحودهم، وترتب على ذلك أن آيات التحدي ارتبطت بمعانٍ مقامية في الدرجة الأولى، أي أن الآيات جاءت للرد على الواقع النازلة فيه، فهل يبقى مضمون التحدي هو هو؟ أو أن مضمونه يختلف باختلاف مضمون الإنكار والجحود؟

الذي يذهب إليه الباحث الثاني، وبيان ذلك؛ أن من ينظر في هذا العصر يجد تعدد أوجه الإعجاز كالإعجاز العلمي والتشريعي ما لم يكن واضحاً الأمر فيه قبل هذا العصر، فلو أنكر منكر صلاحية التشريع الإسلامي لهذا العصر، مدعياً أن هذا التشريع قد أتى به محمد صلى الله عليه وسلم لمعالجة قضايا عصره ضمن بيئته، فالسبيل الواضح في الرد عليه تحديه بأن يأتي بتشريعات توازي هذه التشريعات، فالتحدي هنا تجدد بتجدد الإنكار ومضمون الإنكار، ولا يصح قصر التحدي على مضمون الآيات النازلات كما ذهب إلى ذلك من جعل التحدي والإعجاز شيئاً واحداً، بل يجب أن يتجدد التحدي بتجدد الإنكار.

وهذا التجدد يقودنا إلى الإجابة عن السؤال المترتب على هذا السؤال وهو: هل تتوقف معرفة إعجاز القرآن فقط بمادة التحدي الواردة في القرآن، أو أن معرفة الإعجاز تستطيعها بقية الأمم ولو لم تعرف أساليب البيان العربي؟

ولعل هذه المسألة من أكثر مسائل هذا البحث حيوية، وذلك أن جعل الإعجاز متوقفاً على الوجه البياني، وجعل التحدي متوقفاً على مضمون الآيات النازلات، لهو من تضييق الواسع، فأوجه الإعجاز متعددة، وهذا التعدد يخدم شمولية الرسالة وعالميتها، وليس من العالمية في شيءٍ أن يكون الإعجاز مقتصراً على الجانب البياني، وليس من حكمة الدعوة أن يكون الإعجاز فيما استطاعه العرب قبل أربعة عشر قرناً من الزمن؛ لأن هذه الدعوى تحمل في طياتها شبهة التاريخية، وأن القرآن إنما نزل ضمن ظروف الزمان والمكان، وأن إعجازه قد اقتصر على ما يتقنه العربي الفصيح، وهذه الدعوى مجلبة للهموم والغموم، وهي غير ثابتة الأركان، ولا مشيدة البنيان.

وعليه فإن القول القويم في هذا الباب أن يكون الإعجاز ذا أوجه متعددة بتعدد قدرات أمم الأرض على العقل والفهم، وهذه الأوجه يجب أن تحظى بالرعاية والعناية من حيث الإظهار والإبراز، وأما الاكتفاء بالجانب البياني للإعجاز فإنه لا يعين على إبراز عالمية الدعوة، بل يتعارض مع هذا الاتجاه من التأصيل؛ ولذا فإن القول بتجدد التحدي يخدم بشكل أصيل هذا المنحى من البيان، وذلك أن الاكتفاء بالقول بتعدد أوجه الإعجاز دون القول بتعدد أوجه التحدي وتجددها يعني ضمناً؛ نقصان المنهج الاحترازي الوقائي؛ لأن التحدي يمثل الجانب الوقائي في حفظ سياج الإعجاز، بل هو الأداة القوية والدليل العملي في إثبات صدق الإعجاز، فكان لزاماً القول بتجدد التحدي، فكما أن الإعجاز تتعدد أوجهه فكذلك التحدي يتجدد بتعدد أوجه الإعجاز، وهذا خاضع لظروف المرحلة والزمان التي يُدعى فيها من خلال الإعجاز، سواء أكان علمياً أم تشريعياً أم أخلاقياً أم طبياً إلى غير ذلك.

ثالثاً: هل تتوقف معرفة إعجاز القرآن على معرفة أساليب البيان أي: بصورة التحدي الواردة في القرآن، أو أن معرفة الإعجاز تستطيعها بقية الأمم؟

هذه المسألة طرحها الباقلاني قديماً، وكان مذهبه رحمه الله تعالى ثبوت الإعجاز لدى عموم الأعصار بعجز أهل العصر

الأول، يقول رحمه الله: "فأما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة عمت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين، ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد واحد، وإن كان قد يعلم بعجز أهل العصر الأول عن الإتيان بمثله وجه دلالته فيغني ذلك عن نظر مجدد في عجز أهل هذا العصر عن الإتيان بمثله، وكذلك قد يغني عجز أهل هذا العصر عن الإتيان بمثله عن النظر في حال أهل العصر الأول"[48]، فهو يرى أن أهل كل عصر عاجزين عن معارضة القرآن بعجز من نزل فيهم القرآن، وهذا مبنيٌّ على رده على ما "حكي عن بعضهم أنه زعم أنه وإن كان قد عجز عنه أهل العصر الأول، فليس أهل هذا العصر بعاجزين عنه، ويكفي عجز أهل العصر الأول في الدلالة؛ لأنهم خصوا بالتحدي دون غيرهم"، ثم خطَّأ هذا المذهب، وبين أن من لم يعرف لغة العرب من بقية الأمم فإن إعجاز القرآن لا يثبت عنده له إلا بعد أن يتعلم لغة العرب، حيث قال: "قد بينا أنه لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية من العجم والترك وغيرهم أن يعرفوا إعجاز القرآن إلا بأن يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك، فإذا عرفوا هذا بأن علموا أنهم قد تحدوا إلى أن يأتوا بمثله وقرعوا على ترك الإتيان بمثله ولم يأتوا به تبينوا أنهم عاجزون عنه، وإذا عجز أهل ذلك اللسان فهم عنه أعجز"[49].

والصحيح أن ما ذهب إليه الباقلاني في هذا الباب يحتاج إلى وقفة، فلماذا حصر الإعجاز بالوجه البياني من حيث إثبات الإعجاز للمخاطبين، ولماذا لا يثبت الإعجاز إلا لمن تعلم العربية؟ وهل هذا الطرح يتناسب مع القول بعالمية الرسالة؟ وهل يتناسب مع القول بتعدد أوجه الإعجاز؟ وهل يتناسب مع مرونة الطرح الإسلامي في إقناع بقية الأمم – بل هذه الأمة التي جهلت لسانها بإعجاز القرآن –؟

ولو دققنا النظر لوجدنا أن الذي دفعه لهذا القول هو القول بأن التحدي إنما كان لشيء واحد وهو التحدي البياني، وأن التحدي بغير البيان غير نازل في كتاب الله تعالى، فتعامل مع التحدي الذي هو أداة إقناع ووسيلة حجاج، على أنه مقصود لذاته وغاية في جوهرها، والأمر ليس كذلك، بل إن التحدي ما هو إلا وسيلة لإقناع المنكر والمتشكك، فإذا كان المنكر جاهلاً بالعربية عالماً بالطب، تحديناه بما ثبت في القرآن من مراحل تشكل الأجنة، ووصف القرآن لها مرحلةً مرحلةً، وإذا كان المتشكك جاهلاً بالعربية عالماً بالتشريع والقوانين تحديناه بما جاء في القرآن من تشريعات.

يقول أبو بكر الجصاص: "فمن الناس من يقول: إعجازه في النظم على حياله وفي المعاني وترتيبها على حياله، ويستدل على ذلك بتحديه في هذه الآية العرب والعجم والجن والإنس، ومعلوم أن العجم لا يتحدون من طريق النظم؛ فوجب أن يكون التحدي لهم من جهة المعاني وترتيبها على هذا النظام دون نظم الألفاظ، ومنهم من يأبى أن يكون إعجازه إلا من جهة نظم الألفاظ والبلاغة في العبارة؛ فإنه يقول: إن إعجاز القرآن من وجوه كثيرة منها؛ حسن النظم وجودة البلاغة في اللفظ والاختصار، وجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة، مع تعريه من أن يكون فيه لفظ مسخوط ومعنى مدخول ولا تناقض ولا اختلاف تضاد، وجميعه في هذه الوجوه جار على منهاج واحد، وكلام العباد لا يخلو إذا طال من أن يكون فيه الألفاظ الساقطة والمعاني الفاسدة والتناقض في المعاني، وهذه المعاني التي ذكرنا من عيوب الكلام موجودة في كلام الناس من أهل سائر اللغات لا يختص باللغة العربية دون غيرها، فجائز أن يكون التحدي واقعاً للعجم بمثل هذه المعاني في الإتيان بها عارية مما يعيبها ويهجنها من الوجوه التي ذكرناها، ومن جهة أن الفصاحة لا تختص بها لغة العرب دون سائر اللغات – وإن كانت لغة العرب أفصحها –، وقد علمنا أن القرآن في أعلى طبقات البلاغة فجائز أن يكون التحدي للعجم واقعاً بأن يأتوا بكلام في أعلى طبقات البلاغة بلغتهم التي يتكلمون بها"[50]. وقال الزركشي: "قول أهل التحقيق: إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده، فإنه جمع كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع، بل وغير ذلك مما لم يسبق"[51].

وبناءً على المتقدم فإننا نستطيع أن نقسم التحدي إلى قسمين اثنين؛ **القسم الأول:** التحدي الصريح، و**القسم الآخر:** التحدي الضمني، أما التحدي الصريح فهو واضح في آيات التحدي الواردة في القرآن الكريم، وأما التحدي الضمني فهو يمثل جوانب الإعجاز الأخرى التي يقع فيها التحدي باجتهاد العلماء، حيث إن العلماء هم من يتولى تحدي المنكرين لأوجه الإعجاز، وفي هذا التقسيم من المرونة في التعامل مع أمر الإعجاز ما يقع موقع الإقناع لبقية الأمم في قدرة علم الإعجاز على المواجهة والإقناع بتجدد طرح علم الإعجاز، حيث إن النظرة لهذا العلم بقيت حبيسة الكتب القديمة التي تناولت الإعجاز من زاوية واحدة، ومعظم العلماء تناولوا الإعجاز على أنه علم غير قادر على التطور، وجعلوه علماً قاصراً على كتابات المتقدمين، وما ذاك إلا بسبب قصر التحدي على الجانب البياني من جهة، وعدم وقوع التحدي في الجوانب الأخرى بحجة أن التحدي في القرآن الكريم لم يقع على المثلية في النظم والبيان والأسلوب، وما دامت الأمم الأخرى لا تتقن العربية فهي قاصرة عن درك الإعجاز.

والناظر في هذا القصر يجد أن النتيجة العملية هي قطع

أواصر تواصل الخطاب وإقناع المخالف بحيثيات الإعجاز المختلفة، مما ولَّد حالةً من الركود عند المتخصصين، لاسيما من يعتني في الجانب البياني، وانطلاقةً قد تُوصف أحياناً بقلة الانضباط عند غير المتخصصين، لاسيما من ضعفت همتهم عن التعمق في معرفة البلاغة والنحو واللغة، مما ورَّث حالةً من القلق العلمي عند كل جانب من الجانبين تجاه الآخر، مما انعكس بدوره على المزاجية تجاه علم الإعجاز، وسبب ذلك– في رأيي – عدم وضوح مصطلح الإعجاز ومصطلح التحدي وتنزيلهما منزلةً واحدة، وإن كان هذا التنزيل ليس بالضرورة أن يكون عند الجميع نظرياً بقدر ما هو حاضر في الجانب العملي، لاسيما عند تناطح الآراء وتصارع الأفكار.

فالتحدي الضمني يمثل جوانب الإعجاز الأخرى، وذلك أن التحدي المباشر وقع في الجانب البلاغي للعرب خاصة، فعُلم حينئذ أن هذا الجانب قد كفاه العرب بعجزهم، فبقيت جوانب الإعجاز الأخرى، التي يقع التحدي فيها ضمناً إن تعدى أحدٌ حدوده وزعم أن القرآن متقوَّل، وبه يكون التحدي واقعاً موقع العموم المفهوم من قوله تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء:88]، فالآية إخبار عن عجز البشرية إنسها وجنها عن الإتيان بمثل القرآن، ومفهوم الإنس شامل لجميع أمم الأرض الموجودة حين نزول القرآن وغير الموجودة بعد إلى قيام الساعة، وذكر الجن هاهنا لبيان عجزهم عن الإتيان بأمور الغيب خاصة.

والملاحظ هنا أن الإخبار عن العجز المتضمن التحدي كان في الإتيان بمثل القرآن لا بسورة أو بعشر سور مفتريات، وهذا يقودنا إلى القول بأن إخبار القرآن عن عجز الخلق إنساً وجناً كان للقرآن كله، ولمَّا عُلم أن الخلق يتفاوتون في تميزهم وتفوقهم في المجالات المختلفة كان لكل متفوق أن يأتي بمثل ما جاء في القرآن مما تفوق فيه – إن وقع منه إنكار أو تكذيب –، فمن تفوق في جانب القانون والتشريع فليأتنا بمثل تشريعات القرآن، ومن تفوق في مجال العلم فليأتنا بمثل ما أخبر به القرآن من قضايا العلم القطعي، ومن زعم أنه تفوق في مجال معرفة الغيب فليخبرنا بما هو كائن في المستقبل القريب، ومن.. ومن.. ومن..، فهذا التحدي ضمني غير صريح، يصبح صريحاً إن تحامق بعضهم وغفل عن إدراك كنه نفسه، ووقع فيما وقعت فيه العرب من الغباوة الكبرى والحماقة القصوى، وليس ذلك بسبيل العاقلين.

الخاتمة

نخلص من هذا البحث بمجموعة من النتائج العلمية نستطيع إيجازها بالآتي:

أولاً: تدل مادة عجز في أصلها اللغوي على تقدم شيء على آخر، فهي من المعاني المتضايفة، فالإعجاز على هذا هو الفوت والسبق، وعليه فالعجز الذي هو الطرف الآخر للإعجاز يدل على التأخر بسبب قوةٍ في المتقدم تفوق المتأخر في الصفات والأفعال؛ ولهذا فالمتقدم مُعجِز، والمتأخر عاجز.

ثانياً: تعريفات الإعجاز وصفية لم يدخلها الجانب التعليلي، والسبب يعود في ذلك إلى عدم استقرار المصطلح في تراثنا من حيث بيان حده ورسمُ حدوده، فوجدنا ذلك الجدل الطويل حول المصطلح.

ثالثاً: تدل مادة التحدي على معنى المسير للوصول إلى غاية محددة.

رابعاً: لا نستطيع أن نصل إلى رأي جازم في ترتيب آيات التحدي، وغاية الأمر أننا نستطيع أن نرى وجهةً ظنية، فالأدلة متكافئة في ذلك، ويبقى الأمر في دائرة الظن والتوجيه العقلي.

خامساً: هناك مجموعة من الفروق بين التحدي والإعجاز، وهي كالآتي:

أ– الإعجاز صفة الكلام، بينما التحدي فهو صفة الأفعال.

ب– كل تحدٍّ معجز وليس شرطاً أن يكون المعجز متحدياً به.

ج– الإعجاز صفة القرآن منذ لحظة نزوله، بينما التحدي فلم يك إلا بعد ظهور أمارات التكذيب.

د– الإعجاز وصف ثابت لا يتغير بالنسبة للمخاطب، بينما التحدي فإنه ينزل بحسب المخاطب.

هـ– الإعجاز غايته ذاتية، بخلاف التحدي فهو أداة لإثبات الإعجاز وهو ليس مقصوداً لذاته.

و– سبب الإعجاز واحد وهو علم الله تعالى، بينما أسباب التحدي فهي متعددة.

ز– الإعجاز يخاطب النفس والقلب والعقل جميعاً، بينما التحدي فهو يخاطب العقل ليتفكر ويتدبر.

ح– الإعجاز باقٍ ببقاء كلام الله تعالى، بينما التحدي فهو مرتبط بفقه التعامل مع المدعوين.

ط– الإعجاز مستمر على مدى الأيام، لا يختص بوجه واحد أو بزمن واحد، بخلاف التحدي فلا يكون إلا لوجه واحد في الزمن الواحد، وتختلف أوجه التحدي من زمن لآخر.

ي– الإعجاز وصف ثابت لكلام الله تعالى، بخلاف التحدي فإنه يخضع لدائرة الاجتهاد.

ك– الإعجاز يعم أمم الأرض ولا يختص بأمة دون أمة، بينما التحدي الذي ورد في القرآن فهو خاص بالعرب فحسب؛ فلما وقع الإنكار منهم كان التحدي خطاباً لهم على وجه

الخصوص.

سادساً: ينقسم التحدي إلى قسمين اثنين؛ **القسم الأول:** التحدي الصريح، و**القسم الآخر:** التحدي الضمني، أما التحدي الصريح فهو واضح في آيات التحدي الواردة في القرآن الكريم، وأما التحدي الضمني فهو يمثل جوانب الإعجاز الأخرى التي يقع فيها التحدي باجتهاد العلماء، حيث إن العلماء هم من يتولى تحدي المنكرين لأوجه الإعجاز.

سابعاً: أوجه الإعجاز المتعددة هي أوجه إعجاز حقيقية، وهي بذاتها دليل صدق نبوة، وما كانت دليلاً لصدق النبوة إلا بعد ثبوت وجه إعجازها، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الهوامش

(1) هذا صدر البيت وعجزه: (وَلَكِنْ أَتَاهُ المَوْتُ لا يَتَأَبَّقُ)، يُنظر: ديوان الأعشى الكبير، ص217.

(2) الكلب هو المسمار في قائم السيف، يُنظر: ابن دريد، الاشتقاق، ص21.

(3) أنشده ابن فارس لأبي النجم، يُنظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4ص233.

(4) الفراهيدي، العين، ج1ص215-216.

(5) هذا صدر البيت وعجزه: (وذي سَعَةٍ في دارِهِ أنت ناقِلُهْ) يُنظر: ديوان الحطيئة، ص161.

(6) أبو عمرو الشيباني، الجيم، ج2ص245.

(7) ابن قتيبة، غريب الحديث، ج2ص455.

(8) قال الفراء: "وقوله: {مُعاجِزِينَ} قراءة العوامّ {معاجزين} ومعنى معاجزين: معاندين، ودخول {فِي} كما تَقُولُ: سعيت فِي أمرك وأنت تريد: أردت بك خَيْرًا أو شرًا. وقرأ مجاهد وعبد الله بن الزبير – وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو – {مُعجِّزِينَ} يقول: مثبِّطينَ"، الفراء، معاني القرآن، ج2 ص229.

(9) الحربي، غريب الحديث، ج3ص1085.

(10) الأزهري، تهذيب اللغة، ج1ص219-221.

(11) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4ص234.

(12) الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ج2ص66.

(13) الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ج1ص97.

(14) الزمخشري، الكشاف، ج1ص571.

(15) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص27.

(16) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج16ص226.

(17) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص663.

(18) الجرجاني، التعريفات، ص47، وهو ما ذهب إليه أبو البقاء في كلياته؛ يُنظر: أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص214.

(19) الجرجاني، التعريفات، ص112.

(20) الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ج1ص96.

(21) السكاكي، مفتاح العلوم، ص416.

(22) الفراهيدي، العين، ج3ص279.

(23) ابن عباد، المحيط في اللغة، ج3ص179.

(24) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2ص35.

(25) السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص74.

(26) أبو البقاء، الكليات، ص214.

(27) أبو البقاء، الكليات، ص679.

(28) الزمخشري، الكشاف، ج3ص37.

(29) الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ج1ص190.

(30) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص48.

(31) فعند حديثه عن معجزتي موسى عليه السلام نزع اليد بيضاء والعصا يقول رحمه الله: "وهاتان عرضهما موسى عليه السلام للمعارضة، ودعا إلى الله بهما، وخرق العادة بهما، وتحدى الناس إلى الدين بهما؛ فإذا جعلنا التحدي الدعاء إلى الدين مطلقاً؛ فبهما تحدى. وإذا جعلنا التحدي الدعاء بعد العجز عن معارضة المعجزة وظهور ذلك؛ فتنفرد حينئذ العصا بذلك؛ لأن المعارضة والعجز فيها وقعا.. ويقال: التحدي هو الدعاء إلى الإتيان بمثل المعجزة فهذا نحو ثالث، وعليه يكون تحدي موسى بالآيتين جميعاً؛ لأن الظاهر من أمره أنه عرضهما للنظر معاً، وإن كان لم ينص على الدعاء إلى الإتيان بمثلها"؛ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2ص503.

(32) يقول في وصف معجزة عيسى عليه السلام: "وإحياء الموتى هي آيته المعجزة المعرضة للتحدي وهي بالمعنى متحدى بها وإن كان لم ينص على التحدي بها"؛ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص452.

(33) الماوردي، النكت والعيون، ج6ص309. وانظر؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1ص193.

(34) البغوي، معالم التنزيل، ج4ص165.

(35) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج3ص503.

(36) ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل، ج1ص39.

(37) التعبير بأصغر يثير حساسيةً تجاه القرآن، فالأولى التعبير بالأقصر؛ لأن الحديث عن اللفظ لا عن المعنى، واللفظ يوصف بالطول والقصر، لا بالكبر والصغر، ولا يوجد في القرآن معنى قصير أو صغير، فجميع المعاني الواردة في القرآن هي عظيمة مبينة، عُبِّر عنها بالآيات القصيرة أو

الطويلة لهذا الملحظ.

(38) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج2ص150.
(39) الباقلاني، إعجاز القرآن، ص251.
(40) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص385-386.
(41) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج1ص5.
(42) عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، ص74-75.
(43) كما هو الأمر بالنسبة لمعجزة موسى عليه السلام في نزع يده بيضاء، أو معجزة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى.
(44) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص26.
(45) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص25.
(46) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص25.
(47) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص25.
(48) الباقلاني، إعجاز القرآن، ص8.
(49) الباقلاني، إعجاز القرآن، ص113.
(50) الجصاص، أحكام القرآن، ج5ص35.
(51) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2ص106.

المصادر والمراجع

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (توفي370هـ/979م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، 2001م، ط(1).

الأسد آبادي، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد (توفي 415هـ/ 1025م)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، مطبعة دار الكتب، 1380هـ 1960م، ط(1).

الأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل (توفي7هـ/629م)، ديوان الأعشى الكبير، تعليق: د.محمد حسين، القاهرة، مكتبة الآداب.

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم (توفي 403هـ/1013م)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة – مصر، دار المعارف.

البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود (توفي 510هـ/1117م)، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417هـ 1997م.

بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن (توفيت1416هـ/1996م)، الإعجاز البياني للقرآن، القاهرة، دار المعارف، ط(3).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (توفي255هـ/868م)، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (توفي 471هـ/1078م)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، 1413هـ 1992م، ط(3).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي (توفي816هـ/1413م)، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي، 1405هـ، ط(1).

الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي (توفي370هـ/980م)، أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1405هـ.

الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق (توفي285هـ/898م)، غريب الحديث، تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 1405هـ، ط(1).

الحطيئة، أبو مليكة جرول العبسي (توفي45هـ/665م)، ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، 1413هـ 1993م، ط(1).

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (توفي 388هـ/998م)، بيان إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، مصر، دار المعارف، 1976م، ط(1).

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (توفي321هـ/933م)، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة – مصر، مكتبة الخانجي، ط(3).

الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (توفي502هـ /1108م)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق– سوريا، دار القلم، 1430هـ 2009م، ط(4).

ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم (توفي708هـ/1306م)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.

الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله (توفي 794هـ/1392م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (توفي538هـ/1144م)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (توفي 626هـ/1229م)، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، 1407 هـ 1987م، ط(2).

السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين (توفي 911هـ/ 1505م)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، القاهرة – مصر، مكتبة الآداب، 1424هـ 2004م، ط(1).

الشيباني، أبو عمرو إسحاق بن مرّار (توفي206هـ/821م)، الجيم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع

الأميرية، 1394هـ – 1974م.
الطالقاني، أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس (توفي هـ385/995م)، المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، بيروت – لبنان، عالم الكتب، 1414هـ 1994م، ط(1).
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (توفي310هـ/923م)، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ 2000م.
ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (توفي 542هـ/1147م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، 1413هـ 1993م، ط(1).
ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (توفي 395هـ/ 1004م)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م.
الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله (توفي207هـ/822م)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرين، القاهرة – مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط(1).
الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (توفي170هـ/ 786م)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب بن محمد (توفي817هـ/1415م)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، 1426هـ 2005م، ط(8).
ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (توفي276هـ/889م)، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، بغداد، مطبعة العاني، 1397هـ، ط(1).
الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (توفي1094هـ/1683م)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، 1419هـ 1998م.
الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (توفي450هـ/1058م)، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.
ابن نبي، مالك بن الحاج عمر بن الخضر (توفي: 1393هـ/ 1973م)، الظاهرة القرآنية، إشراف ندوة مالك بن نبي، دمشق– سوريا، دار الفكر، 1420هـ 2000م، ط(4).
نكري، القاضي عبد رب النبي الأحمد نكري (توفي حوالي ق:12هـ/ حوالي ق:19م)، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، 1421هـ 2000م، ط(1).

Miracles and Challenge- Terminological Study

Al-Muthnna A. Mahmoud*

ABSTRACT

This research studies the terms miracles and challenge as a specialized terminological study, which reveals the differences between these two terms, and the resulting differences affect the demonstration of the miracles in the Holy Quran, and through the discussion of the linguistic meaning of miracles and challenge, and the critical discussion of the scholars' sayings for this regard. This research has concluded that there are ten differences between miracles and challenge, and by observing these differences it becomesvery clear to us that miracles are numerous, and as the aspects of the miracles multiply, so doesthe aspects of the challenge, given the content of the face of one miracle, and that the challenge is not confined to the Arabs, as is common in the scientific community.

Keywords: Miracles, Challenge, Quran Sciences, Terminological Study.

* College of the Holy Quran and Islamic Studies, Islamic University of Medina, Saudi Arabia. Received on 18/5/2016 and Accepted for Publication on 8/11/2016.